المحاضرة الثالثة : علم الجمال والإنسان

تمهيد:

يعود اهتمام الإنسان بالجمال، منذ الحضارات القديمة. فالإنسان ليس فقط حيوان ناطق، وليس فقط، إنسان متدين. بل هو إنسان صانع ومبدع، وما يثبت هذا أن الحضارات القديمة قد أبدعت في النحت والتصوير والعمران وما يتبعها من زخارف واستعمال الألوان المختلفة والمتناسبة في الأشكال والرسومات. وهذا دليل على أن الإنسان بطبعه كائن ميال إلى حب الجمال وصناعته بما يتناسب وذوقه واهتماماته.

فالإنسان هو من جهة، كائن عاقل، يفكر بالعقل، يستخدم قواعد المنطق من أجل القول الصحيح، والبحث عن الحقيقة. كما أنه من جهة أخرى، كائن أخلاقي، يسن مجموعة من القوانين والأخلاق التي تنظم شؤونه الخاصة والاجتماعية، إضافة إلى هذين البعدين. هناك بعد آخر، هو البعد الجمالي، الذي من خلاله يمكن للإنسان، أن يعرف الجميل من القبيح وان يميز الأعمال الفنية الجميلة من القبيحة. وهكذا يمكن أن نقول أن الإنسان يسعى في حياته، إلى تحقيق ثلاثة أشياء: الحق وأداته المنطق ، والخير وأداته التمرن على الفضيلة. والجمال وأداته الإدراك الجمالي.

تعريف علم الجمال:

إذا أردنا تعريف علم الجمال يمكننا القول أنه علم يدرس المواضيع والمنتجات الفنية التي أنتجها الإنسان في مسيرته الفنية وبعبارة أخرى هو دراسة تأملية على الإبداعات التي تركها، وحتى نستطيع أن نفهم علم الجمال علينا أن نميزه عن الفن وعن الجمال. فالفن هو إنتاج موضوعات فنية من ابتكار الإنسان أما الجمال فيعرف على أنه ما في الأشياء من جمالية ومن بريق وما تكتسبه من قيمة وهكذا يتبين لنا أن عالم الجمال هو الذي ينظر في الأشياء التي يبدعها ويصنعها الفنان وينظر في قيمتها الجمالية وما تثيره من مشاعر وانفعالات ومعاني ودلالات، بهذا المعنى بقدر ما اهتم الإنسان في الحضارات القديمة بالمأكل والمشرب اهتموا أيضا بتزيين المعابد والقصور والمقابر والآلهة فلقد أبدع المصريون القدماء في تنويع الألوان والرسوم بمختلف الأشكال في مقابرهم ولقد طابقوا بين جمال الآلهة والجمال في ذاته واعتبروا أن الآلهة فيض الجمال، كما نجد أن اليونانيين قد أبدعوا في النحت والتصوير فيما يتعلق بإقامة هياكل لآلهتهم وربطوا بين الجمال والقوة والأبهة التي هي سمة من سمات الآلهة كما نلاحظ أن الرومانيين قد ربطوا بين الجمال والقوة العضلية، وهكذا يمكن القول أن طبيعة الكائن الإنساني مفطورة على

الانجذاب لما هو جميل ومنسجم ومنتظم وتنفر بطبيعتها مما هو قبيح، بل يمكن التأكيد على فكرة وهي أن التفكير في الجمال عند الإنسان مقترن بمستوى معين من التفكير العقلاني وأن كل حضارة لها إبداعات جمالية تخصها وتميزها عن غيرها، حيث أن الجمال عند هذه الأمة أو تلك يختلف حوله من حيث تقييمه وتقديره وتذوقه، لهذا يعتبر علم الجمال علم تقديري ينتمي إلى مجال أحكامنا المتباينة والمختلفة، ويختلف عن الرياضيات في كونه أنه ليس محكوما بقواعد صارمة إلا أنه مع ذلك يوجد حكم عام من الناس على جمال هذه الأشياء وقبح تلك.